

النشاط الاجتماعي لوزارة الشؤون الاجتماعية

مطاعم الفقراء - نوادى العمال الرياضية - المقاهى الشعبية - الاختصاصيون
الاجتماعيون - شروط إنشاء العزب - توزيع الاراضى الحكومية

(١)

فى وقت من الأوقات كانت قصة " مطاعم الشعب " هى المقدمة بين الفصص التى
تلكها الألسنة وتنال اهتمام السلطات فى مصر ، وإذا اهتمت السلطات بمشروع ما ، كان
هذا إيذاناً باهتمام جماعه من الأثرياء ، يرقبون دائماً مواقع رضى هذه السلطات !

ثم هبطت حرارة هذا الاهتمام ، واسدل الستار أو كاد على قصة " مطاعم الشعب " ،
فأقلل بعضها وعجزت ميزانية البعض الآخر عن تقديم وجبات الطعام لعدد كبير من الفقراء ،
وهم أحوج ما يكونون لهذه الوجبات المغذية الرخيصة ، ولا سيما فى مثل الأوقات الحاضرة ،
لولا أن قبض الله لهذه المطاعم اهتمام وزير الشؤون الاجتماعية بها فى هذه الأيام ، فكان هذا
إيذاناً بعودة الحياة إليها والتوسع فيها وخلقها خلقة جديدة .

فلقد زار معالى وزير الشؤون الاجتماعية مدينة الاسكندرية ، وفى يوم ٢٤ أكتوبر اجتمع
معاليه مع رجال الأعمال بها للبحث فى شؤون العمال وما تقضى به الحال لمناسبة صدور القانون
القاضى بالاعتراف بنقاباتهم من إنشاء جمعيات تعاونية لهم والاهتمام بتحسين أجورهم وتيسير
حصولهم على ما يحتاجون إليه من المواد الضرورية بأسعار معتدلة .

ثم طلب معاليه إلى رجال الأعمال المساهمة فى توسيع نطاق مطاعم الفقراء فى أحياء
المدينة مساعدة لهم فى الظروف العسيرة الحاضرة ، فأيدوا هذه الرغبة مظهرين استعدادهم
لتنفيذها ثم عاد فى ٢٩ منه واتفق معهم على إعداد مشروع لهذا الغرض تشترك فيه وزارة
الشؤون الاجتماعية ومحافظ المدينة ومدير البلدية .

ودب النشاط كذلك فى القاهرة حول هذا المشروع مما يؤذن بنجاح الدعوة وتيقظ الهمة
وتوفير عدد من المطاعم يكفى للمساهمة الحقيقية فى تغذية الفقراء بأثمان زهيدة مستطاعة .

وقد اتخذت الأبهة لافتاح عدد كبير من المطاعم في كل من العاصمتين يكفى لعدد من هم في حاجة إليها ممن يقل إيرادهم عن جنيه ونصف الجنيه في الشهر .

ومطاعم للشعب أو مطاعم الفقراء ضرب من ضروب الخدمة الاجتماعية المنتشرة الآن في العالم المتقدم ، ومصر أولى بلاد العالم أن تأخذ بهذا الضرب من الخدمة .

ومن الأسف أن الذين يحتاجون إلى التغذية في مصر هم المستجوعون ، هم العامل والصانع وأمثالهم ممن يقوم انتاجهم على الطاقة العضلية في الغالب ، هذه الطاقة التي تنتجها الكمية الغذائية ، والتي تنقص كلما نقص الغذاء ، فتتقص معها القدرة على العمل .

وهذه الطبقات المحتاجة إلى الغذاء في مصر هي التي تخصص لها في إنجلترا جناية إضافية — بعد توزيع الطعام بالبطاقات — جناية لا ينالها الأثرياء والمترفون هناك ، لأن الأثرياء والمترفين لا ينتجون ، ولا يبذلون طاقة جثمانية كبيرة ، فيجب تبعاً للمنطق والعدل والمنفعة أن يحصل العامل على الجناية الإضافية دون الطبقات العليا ، وهذا ما تصنعه بلاد الديمقراطية الحقيقية .

ومع تخصيص جناية إضافية للعامل هناك ، فإن عمال الصناعات الثقيلة وعمال المناجم يتمتعون فوق ذلك بوجبة إضافية مجانية تنتظرهم على أبواب المصانع ، وعلى مداخل المآجم ، عن طريق جماعات الخدمة الاجتماعية زيادة في رعايتهم ، وفي توفير الغذاء لهم ، وتمكينهم من بذل الجهد المطلوب منهم .

ونحن لانطمع في مثل هذه الحال ، ولكن أقل ما نطمع فيه أن تنتشر مطاعم الشعب بحيث تكفى جميع من يقصدونها من العمال والفقراء ليتناولوا فيها وجبة مغذية في مقابل مبلغ صغير تحتمله ميرانياتهم الضئيلة . وفي سبيل ذلك الخير المحدود فليتنافس المتنافسون .

(٢)

والمشروع الثاني الذي يتم به معالي الوزير ويعني به عناية خاصة هو مشروع نوادي العمال الرياضية ، هذه النوادي التي يريد استخدامها أداة لتصحيح الأجسام ، وتنوير العقول ، وتهذيب الأخلاق ، بين هذه الطبقات الهاملة التي يحجبها ويعطف عليها ويحفل بكل شأن من شؤونها .

وقد بذل نفوذه في دوائر الأعمال المصرية والأجنبية لينهض أصحاب الأعمال بمساعدة عمالهم في إنشاء هذه النوادي وتجهيزها وإعدادها للانتفاع بها على الوجه المتقدم ، بدل أن يحاً هؤلاء العمال إلى الحانات والمقاهي الفاسدة ، حيث يقتلون صحتهم الضعيفة ويعترون إيرادهم الضئيل ، ويزدادون جهلاً وفساداً واضمحلالاً .

ونوادي العمال — والنوادي الشعبية عامة — هي ضرب آخر من ضروب الخدمة الاجتماعية المنتشرة في العالم المتقدم ، وهي هناك لا تقتصر على مجرد تملضية الفراغ تملضية لا ثقة ، بل هي عامل من العوامل الإيجابية في ترقية العامل وتزويده بقط من الثقافة أو قسط من التدريب الفني . مما لم يتأ له في حياته العملية بسبب حاجته إلى العمل والكسب ، قبل تزوده بما يكفيه من الثقافة في التدريب .

وفي كثير من هذه النوادي — بجانب الألعاب الرياضية والتسلية البريئة والمحاضرات العامة — حجرات خاصة للدراسة الثقيفية في مختلف أنواع الثقافة النظرية والعملية ، وحجرات أخرى للتدريب الفني على كثير من أنواع الفنون والصناعات ، بأجور زهيدة ، أو بغير أجر مطلقاً .

فالنادي على هذه الصورة لمعب رياضي ، ومكان للتساية ، ثم هو فوق ذلك مدرسة للتوير والتثقيف ومشغل للتدريب والمرانة ، وبجال للرق الأدبي والمادي ، ومصححة بدنية وروحية في آن واحد .

وفي البلاد الأوروبية والأمريكية تتنوع هذه النوادي ، فمنها أندية العمال ، ومنها أندية الصبيان العمال ، ومنها الأندية الشعبية .

فأما أندية العمال ، فهي إما أندية خاصة بطوائف معينة من العمال تنشأ النقابات الخاصة وإما أندية عامة لجميع الطوائف ينشأ اتحاد النقابات ، وهي في كلتا الحالتين تعمل على أن يمضي المشتركون فيها أوقات فراغهم في رياضة نافعة أو تسلية بريئة ، أو ثقافة مفيدة .

وأما أندية الصبيان العمال فتقوم بمهمة إضافية فوق ذلك كله وهي رعاية أخلاق الصبيان العمال الذين تتراوح أعمارهم بين الرابعة عشرة والثامنة عشرة ، لأنهم في هذه السن الخطرة من المراهقة عرضة لمختلف التيارات الفاسدة ، ثم هم في الوقت نفسه في حاجة إلى استكمال ثقافتهم ومرآتهم العملية .

وقد قام بإنشاء هذه النوادي في إنجلترا متطوعون متحمسون للخدمة الاجتماعية ، وأخيراً اتحدت هذه الأندية التي يبلغ عددها أكثر من ألف وسبعائة ناد تضم نحو ١٦٠,٠٠٠ عضو ، وصدرت الحكومة الإنجليزية قانوناً يعترف لها بشخصيتها المعنوية .

ويضم كل ناد مكتبة للطالمة والاستعارة ، وغرفا خاصة بالألعاب التسلية ، ومطعم لتناول وجبات خفيفة بأثمان زهيدة ، وحجرات للتدريب العملى على الصناعات المختلفة ، وللثقافة النظرية والفنية .

وأما الأندية الشعبية العامة فهى مباحة للجميع من يقصدها من أفراد الشعب عمالا وظيفيين وعمال وأغراضها تلخص فى محاولة الترفيه عن الطبقات الشعبية بمختلف وسائل السمر والتسلية والعمل على رفع مستواهم الفكرى والخلقى بالمحاضرات والاطلاع بمكتبة النادى ، ودرس مشاكل الحياة الخاصة بروادها وبالخلق الذى تنشأ فيه ، ومساعدة مكان الخلق بالزيارات الصحية والإرشادات الاجتماعية والعائلية .

ونحن لا نطمح — مؤقتا — فى أن تصل النوادى المزمع تعميمها إلى هذا المستوى الرفيع الذى حياته المساعدات المادية وقوة الروح الاجتماعية لنوادى إنجلترا أو سواها ، ولكننا نطمح فى انتشار هذه النوادى وانتشار الرياضة البدنية معها وتمضية أوقات الفراغ فيما يفيد أو فيما يسلى تسلية بريئة ، والمستقبل كفيل بما بعد هذا من الخطوات الأخرى .

(٣)

وفى مصر أندية شعبية من نوع آخر ، وهى تلك المقاهى الشعبية ، التى يأوى إليها المئات كل ليلة من مختلف الطوائف العالية وسواها ، ويقضون فيها أربع ساعات على الأقل كل يوم إن لم يكن أكثر من ذلك .

وقد رأى وزير الشؤون أن يتفع بهذه النوادى فى مهمة وزارته الإصلاحية العامة ، وفى كلمة له ألقاها بالاسكندرية ، ذكر أنه فكر فى جعل هذه المقاهى مراكز اجتماعية لانهاض العامة ، وعلى هذا الأساس اتفق مع الأستاذ بيرم التونسى على وضع تاريخ مصر فى أسلوب شبيه بقصص "أبو زيد" يلقىها الشعراء على نغم الرباب فى المقاهى العامة .

فهذا وزير يفهم بلده حق الفهم ، وقد سبق أن تحدثنا عن فهمه هذا فى تحليل عوامل الحرية فى مصر عند الكلام عن إصلاح السجون فى عدد سابق ، وهذا الفهم نفسه هو الذى أوحى إليه أن يتجه هذا الاتجاه فى استخدام المقاهى الشعبية وهو أفضل اتجاه وأنفعه بالنسبة إلى جمهور العوام .

والذين عاشوا فى الجليل الماضى وفى أوائل الجليل الحاضر يذكرون تلك الصورة التى اختفت الآن مع الأسف صورة "الشاعر ذى الرابطة" يعتلى المنصة الخشبية فى القهوة أو فى سوق القرية أو مصطفىها ، وروح يلقى بصوته الجمهورى قصص أبى زيد والوزير سالم وعنترة ، مع حركاته التمثيلية التى كان المستمعون يتابعونها بعيونهم وقلوبهم . ويتأثرون بها أشد التأثر .

ولقد كانت هذه القصص مصدر ثقافة عقلية وتربية خلقية ، ومثارا للنخوة والمروءة والشجاعة ، وملهاة بريئة عن مفاصد شتى ، وسمرا ظريفا تجتمع له الحلقات ، وتنفض في منتصف الليل لتنعقد في الليلة التالية ، والجمهور كله آذان وكله أشواق .

وحين نؤرخ النهضة الأدبية والشعبية سيجد " الشاعر " وربابته مكانا فسيحا يحتله في هذا التاريخ عند الحديث عن الثقافة الشعبية .

فإحياء هذه السنة بحث لصورة محبوبة توارت من الجلو المصرى ، وانتفاع بأحسن أدوات التسلية الشعبية في بث الثقافة التاريخية القومية .

وقد بدئ بوضع قصة عن عصر محمد على الكبير ، وقصة عن عهد الثورة المصرية فنجب أن تتنوع القصص ، وأن تتناول عصورا مختلفة وأمجادا مصرية كثيرة . فعصر رمسيس وعصر صلاح الدين وسواهما من العصور الفرعونية والاسلامية جدير بالتسجيل على هذه الوتيرة وجدير بال نشر في أوساط الجماهير .

ولنذكر أننا تكاد نفقد شخصيتها لأنها تفقد تاريخها ، وتدرسه في المدارس دراسة مسبئة الى الروح القومية ، دراسة سردية مفككة ، لا تفنى بتصوير الأجداد المصرية ولا بانهاض الروح الوطنية .

فها هي ذى فرصة سانحة لتدارك النقص الواضح في دراسة التاريخ بالمدارس ، ولتربية الروح القومية في نفوس الجماهير ، بقصص البطولة التي تنمض الهمة وتثير النخوة ، وتشغل الفراغ بتأثرات روحية عالية ، وتستخدم المفاهيم الشعبية في الخدمة الشعبية على أيسر سبيل .

(٤)

وقد أحرنا الحديث عن " الاخصائيين الاجتماعيين " لأن شأنهم أعظم من هذه الشؤون جميها ، ولأن وجودهم هو أساس الإصلاح الاجتماعى القائم على قواعد صحيحة . وفي هذا المعنى يقول معالى الوزير فى كلمة له بمدرسة الخدمة الاجتماعية بالاسكندرية :

" ان وزارة الشؤون الاجتماعية أنشئت لبناء المجتمع المصرى الذى يحتاج بناؤه الى أيد كثيرة وهدد عظيم من البنائين ، وهذا المجتمع يحمل كثيرا من أعباء الماضى ، ولذلك يجد المجاهدون فى سبيل اصلاحه مشقة عظيمة " .

ثم ذكر أن الأعمال الاجتماعية تحتاج الى كثير من المتخصصين ، وأن المنشآت الاجتماعية التى تديرها الوزارة كالملاجئ والسجون والاصلاحيات ، يعثرها كثير من النقص اعدم توافر الاخصائيين فيها ، وهو لذلك يعول كثيرا على عمل مدرستى الخدمة الاجتماعية فى الاسكندرية والقاهرة .

وهذه حقيقة واقعة، فالإصلاح الاجتماعى المنظم فى حاجة إلى الإخصائيين الاجتماعيين وإلى الدراسات الاجتماعية ؛ وإلى الإحصاءات والتجارب القائمة على الخبرة، وإلا أضحت أعمالا ارتجالية لا ترتكز إلى قواعد علمية .

وسيمضى وقت طويل قبل أن يتبها للوزارة عدد وافر من هؤلاء الإخصائيين .

لهذا يرى معاليه إنشاء مدارس اجتماعية فى المديرىات لتعليم مدرسى المدارس الإلزامية فيها طرق الخدمة الاجتماعية ليكونوا مرشدين اجتماعيين متخصصين ، وأن فى مصر حوالى أربعة آلاف قرية و ٢٥ ألف عزبة وفى وسع هؤلاء المدرسين أن ينشروا الدعوة الاجتماعية فى الأقاليم ويوجهوا المجتمع وجهة جديدة .

والانتفاع برجال التعليم الإلزامى فى هذا الطريق ممكن وسهل وسريع، إلى أن يكثُر عدد المتخصصين الاجتماعيين وبقى بحاجة المنشآت جميعا ، ولكن المعلم الإلزامى منقل بالدروس وشاعر بالغبن المادى فى مرتبه ، فإذا أمكن الاتفاق مع وزارة المعارف على تخفيف عبء الدروس عن كاهله ولو قليلا ، وإذا أمكن أن يمنح مكافأة إضافية نظير قيامه بالخدمة الاجتماعية ، كان رسول إصلاح فى قرينه سهل الإعداد ، مبسرا للنفع فى بيئته المحدودة ، وبذلك تتحول المدارس الإلزامية إلى مراكز اجتماعية فى المساء كما أشار إلى ذلك وزير الشؤون.

(٥)

ومن مظاهر الاتجاه الاجتماعى الجديد فى التكافل الاجتماعى أن تعد وزارة الشؤون الاجتماعية مشروعا يقضى بوضع شروط خاصة لإنشاء العزب ، تتضمن وجوب إقامة دورات للياه ومغاسل فيها ، وإقامة بعض المنشآت لتحسين حالة الفلاح كالمراكز الاجتماعية.

وهو اتجاه واجب وإن كان يقتصر على العزب الجديدة التى تنشأ بعد إصداره ، وكان من الحق والعدل أن يشمل جميع العزب القديمة كذلك تحقيقا لأبسط مظاهر التضامن الاجتماعى بين الملاك المتفعين وعمالهم الزراعيين المتجين .

ولولا ضعف الروح الاجتماعية فى مصر لما احتاجت الدولة إلى سن مثل هذا التشريع لأن مصلحة الملاك البعيدة وحدها كانت كافية لأن ينهضوا بهذا الإصلاح ، بعد ما ثبت من التجارب فى مصر وأوربا أن الملاك وأصحاب الأعمال هم الراجحون فى النهاية من كل إصلاح اجتماعى أو صحى فى محيط فلاحيهم وعمالهم .

فقد بين بالتجربة أن المصانع التي تؤدي لعمالها بعض الخدمات الاجتماعية كإعداد المساكن الصحية والنوادي الرياضية وسواها ، تكسب من إنتاجهم المتزايد أكثر مما أنفقت .

وقد تبين من تجارب الجمعية الزراعية الملكية في عربتها النموذجيتين أنها هي الرابحة من زيادة إنتاج فلاحها وتوافر صحتهم ، وقوة مجهودهم في أرضها .

ونتأج هذه التجارب في الخارج وفي مصر يجعلنا نتفائل خيرا ونرجو ألا تقام العراقيل في وجه الوزارة عند ما تمهم بسن هذا القانون العادل الكافل لمصلحة الفريقين : الملاك والفلاحين .

(٦)

ثم نتحدث عن أهم مشروع من مشروعات الدولة في هذا العام وهو اتجاه وزير الشؤون إلى تقسيم الأراضي الحكومية الصالحة للزراعة ومقدارها مائة ألف فدان إلى ملكيات صغيرة كل منها خمسة أفدنة وتوزعها على صغار الفلاحين .

وهو مشروع أكبر من أن نتحدث عن آثاره الطيبة في هذا الحيز الضيق ولكننا نكتفي بهذه الإشارة العاجلة هنا على أن نعود إليه بالشرح في كلمة مستقلة .

وبحالة ما يقال في هذا المشروع : أنه يساعد على خلق طبقة متوسطة من الزراع . هذه الطبقة التي تضمحل الآن وتتوارى لأن الملكيات الكبيرة تبطلها بينما الطبقة المتوسطة هي عماد الشعوب ووسيلة الاستقرار والتقدم .

وحين يتم هذا المشروع نخلق من العدم ٢٠,٠٠٠ ألف أسرة نرفعها من الحضيض إلى المستوى اللائق ، وهو عمل عظيم ولاشك ، جدير بالتسجيل في تاريخ الإصلاح .

وعلى أية حال فإن في هذا الاهتمام الذي يوزعه معاليه على كافة نواحي الإصلاح الاجتماعي ووسائله ما يبشر بالخير ويدعو إلى التفاؤل ، ونحن في مرحلة يجب أن نأخذ فيها بكل وسيلة من وسائل الإصلاح وتتعلق بكل خيط من خيوط الرجاء ، والله الموفق لما فيه الخير والفلاح .